محمد عابد الجابري والتراث، القراءة والموقف

طرشي الزهرة؛ رباني الحاج
جامعة معسكر، zohra_terchi@yahoo.com
جامعة معسكر، elhadj.rebani@yahoo.fr

الملخص :

إن اختلاف الناس فيما بينهم إنما يعود إلى اختلافهم حول الحقيقة، أو بالأحرى حول حقائق الأمور التي اتخذ الإنسان كل السبل، والوسائل، والطرق لبلوغها، وهذا منذ القدم حتى عصرنا اليوم؛ فكل حقبة من الزمن اتخذت شكلا ومفهوما لكل الحقائق، والأنساق، والأفكار التي تمس الفرد من حيث طريقة فكره ومعتقداته، وممارساته بجل حقولها الاجتماعية، والثقافية، والدينية، والعلمية؛ فكان التراث من بين هذه الحقائق بحيث هناك العديد من المشاريع الفكرية التي تتعلق بمجال البحث الفلسفي قد عالجت موضوع التراث على مستوى ساحتنا الفكرية العربية من بينها: مشروع محمد عابد الجابري الذي هو موجه لدراسة التراث، حيث أن اهتمامه كان موجه لإقامة منظومة فكريه تقدم في إطار منهجي متعدد الأبعاد والحقول الدلالية. ولدراسة هذا الموضوع اتخذنا الإشكالية التالية: هل بإمكان القراءة التي قدمها محمد عابد الجابري التأسيس لبداية فكرية فلسفية حقيقية فيما يتعلق بالفكر العربي الإسلامي المعاصر أم أنها مجرد استهلاك وتقليد؟. وبناء على هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات من بينها:

- أعلن الجابري رفضه للاتجاهات التي تدعو إلى إلغاء التراث، وعملية الانتظام فيه يجب أن تقوم على نظرة نقدية، وبهذا يكون التحديث والتأصيل وجهان لعملة واحدة.
- يدعو الجابري إلى ضرورة تحرير الذات من التراث قصد السيطرة عليه.
- ترتيب التراث في وعينا حسب الجابري هي إعادة لترتيبه في سياقه التاريخي.
- مشروع الجابري يسعى إلى إعادة تأسيس الذات على أسس جديدة تجد مرتكزاتها في بعض نقاط الماضي، وبناء على هذا فهو يهدف إلى بناء الذات العربية.

- يسعى الجابري إلى نقل المفكر العربي من التمجيد إلى موقف الحوار النقدي.
- اعتبر النص القرآني والسيرة النبوية من بين المواضيع المفتوحة لإعمال العقل.
- لا بد لأي تراث مهما كان حسب محمد عابد الجابري أن يعبر عن خصوصيته وذلك قصد إدراك العالمية.
- الحقيقة في نظر وجهة محمد عابد الجابري يمثلها الكل وهو ما أطلق عليه تسمية وحدة الإشكالية.

الكلمات المفتاحية: التراث؛ الفهم؛ العقل؛ النقد؛ الحداثة.

Abstract:

Differences between people are due to the differences about the facts of matters for which man has used all tools, ways and methods to reach them since the past and till now .Every period of time has form and meaning to all facts, arrangements and ideas which affect the individual thoughts, beliefs and practices in many social intellectual, religious and scientific fields. Therefore, heritage was one of these facts. There are many intellectual projects related to philosophy study's the topic of heritage on the Arabic level One of them is the projects Mohamed abed el jabiri. While reading that project, we have focused on the main basis and star times on which el jabiri has depended in his project it was directed to steal heritage and to set an intellectual system that can be introduced in logical firm with different dimensions end significances. In order to study this topic we introduce the following introduction:

-was the study of el jabiri the beginning of a new intellectual and philosophical era about the modern Arabic and imitation?

-Eljaberi has announced his refusal to the directions which appeal for regrouping. It must be built on criticism. Hence, modernization and authentification are two faces of one coin.

- Eljaberi urges to the liberty of man from heritage to have control over it. This organizes heritage in our connections according to Eljaberi an its historical sequence.

- Eljaberi aims at transforming the Arabic thought from glorification to dialogue.

- He considers Quran and sera nabaowiya the prophet profile pause be upon him as open texts which need the use of minds.

-according to Mohammed abed Eljaberi, any heritage must express its characteristics so to reach the universality.

-According to Mohammed abed Eljaberi, truth is represented by the whole. And he called it the unity of problematic.

مما هو ملاحظ أن الإنتاج الفكري العربي الحديث شغل حيزا واسعا من العناية والاهتمام، وقد لا نبالغ إذا ما اعتبرنا أن معظم هذا الإنتاج يكاد يكون في الانشغال بالتراث إما على صعيد إعداد النصوص وتحقيقها، أو على صعيد قراءتها ونقدها. ومن نتائج هذا توفر مادة نصية ضخمة سمحت بتشكل تخصص معرفي قائم بذاته يختص بموضوع التراث تحقيقا ودراسة ونقدا، وهو الأمر الذي تعكسه كثرة المشتغلين بهذا الموضوع وتنوع مواقفهم منه. وأما سعة هذا التراكم وتفاوت مراتب الاجتهاد فيه يلزمنا أن نتساءل: هل ما زلت هناك من حاجة قائمة إلى المزيد من البحث في المسألة التراثية في خضم الانقلابات التي شهدها الفكر ولا يزال يشهدها في وقتنا الراهن؟

بداية ينبغي التأكيد على أن المسألة لا يحق اعتبارها مسألة محسومة ومتجاوزة مثلما تزعم الكثير من الدعاوي التي ترى فيها عائقا يحول دون الانخراط في العصر بكل ما يتاح من ممكنات. وفي خصوص هذا نجد جملة من المفكرين العرب الذين اقترنت مواقفهم باستعادة تراثنا العربي الإسلامي من بينهم المفكر المغربي محمد عابد الجابري الذي اعتبر أن التراث يتيح ممكنات متعددة. وفي سياق هذا التوجه المبني على إعادة الاعتبار إلى التراث نود التساؤل عن طبيعة العلاقة التي يقيمها الجابري كقارئ وناقد للتراث العربي الإسلامي، وما يؤسسها من مرتكزات وأصول يجد الباحث المشتغل بالتراث نفسه إذن موجه بأسئلة متعددة أهمها: ما نوع الصيغة المثلى التي ينبغي أن يستعاد بها التراث في وجهة نظر محمد عابد الجابري؟ وما الأغراض والمقاصد التي تنجر عن هذه الاستعادة؟ وبأية وسائل منهجية وقرائية يمكنها أن تتحقق؟ وبناء على هذه الأسئلة سوف نتمكن من تحديد طريقة تعامل محمد عابد الجابري مع التراث ونصوصه وجميع قطاعاته المعرفية المختلفة.

ولمناقشة هذه الإشكالية ارتأينا أن نستعرض جملة من المحطات الأساسية وهي كالتالي :

1- أرضية مفاهيمية نستعرض من خلالها أهم المفاهيم.

2- الجابري وفكرة انتظام في التراث.

3- مستويات القراءة وخطوات المنهج.
4- نماذج من القراءة الجابرية المطبقة على التراث (الفلسفة الإسلامية).
5- رؤية نقدية لقراءة الجابري لتراثنا الإسلامي.

أ ـ المحطة الأولى: أرضية مفاهيمية وقد تناولنا من خلالها أهم المفاهيم الأساسية التي ترتبط بموضوعنا المدروس ومن جملة هذه المفاهيم : مفهوم التراث لغة :"بمعنى الفعال والأصلي ويقال على ما يجري نقله في المجتمع خصوصا في الدين نقلا حيا سواء بالكلام، أو بالكتابة، أو بكيفيات التصرف"(لالاند أندريه، 2001 : 1464). كما أن كلمة التراث heritage " وهي معنى مجازي للدلالة على المعتقدات والعادات الخاصة بحضارة ما، وبكيفية عامة للتراث الروحي "(دريه جوليا، 1992 : 145).

أما مفهوم العقل" raison مشتقة من الكلمة اليونانية ratio" ,Larousse) (872 : 1980وتعني الملكة فقط. ومن المرجح أنه يتعلق ب" Ratus والتي هي مشتقة من reor بمعنى ظن، اعتقد، فكر ويبدوا أنه كان دالا قبل العصور المأثورة على حساب وعلاقة"(لالاند أندريه، 2001 : 1159). أما لغة: فيعرف العقل على أنه: " الحجر والنهي ضد الحمق ويقال عقلت البعير إذ جمعت قوائمه والعاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها "(ابن منظور، دس : 323). أما فلسفيا: "فهو ملكة الفهم، وملكة إدراك العلاقات الذهنية" (دريه جوليا، 1992 : 324).

2 ـ المحطة الثانية: الجابري وفكرة الانتظام في التراث لقد تطرق محمد عابد الجابري لمفهوم التراث وذلك من خلال كتابه" التراث والحداثة "بحيث أنه قام أولا بعرض تداولات مفهوم كلمة التراث ضمن الثقافة العربية والتي وصل من خلالها إلى نتيجة مفادها بأن كلمة التراث لم تعرف في أي عصر من عصور التاريخ العربي رغم الازدهار الذي حققته خلال القرن العشرين، وهذا ما جعل إمكانية نقل هذا الإشباع الذي يتميز به مفهوم التراث إلى أي لغة أخرى أمر غير ممكن؛ كونه يفقده شحناته الوجدانية والأيديولوجية على حد السواء. ويقوم بعرض جملة من البيانات تدعم هذا الطرح؛ ومن جملتها "أن كلمة التراث من المادة (و، ر، ث) وهي ترادف الإرث، والورث، والميراث وهي مصادر تدل، عندما تطلق اسما، على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو حسب " (الجابري محمد

عابد، 1991 : 22). وأكد الجابري على أن اللغويين القدامى قد فرقوا بين الإرث باعتباره أساس خاص بالحسب؛ أما الورث والميراث فهما مرتبطان بالمال. ليخلص إلى النتيجة التي مفادها أن التراث في الفكر المعاصر أصبح يحمل مدلولا جديدا لم يعرف سابقا وهو ما سوف يوضحه قوله التالي: " لا كلمة تراث، ولا كلمة ميراث، ولا أيا من المشتقات من مادة (ورث) قد استعمل قديما في معنى الموروث الثقافي والفكري - حسب ما نعلم - وهو المعنى الذي يعطى لكلمة تراث في خطابنا المعاصر " (الجابري محمد عابد، 1991 : 22). وبالنظر إلى ما قد سبق فإن معنى الموروث الثقافي والفكري لم يستخدم قديما فيما يتعلق بمعنى الكلمة(و، ر،ث) بحيث أعطي هذا المعنى للكلمة فقط من خلال الفكر المعاصر. وبعد أن قمنا بضبط مفهوم التراث بناء على ما قد قدمه الجابري ننتقل إلى فكرة نهضة الأمة والتي حسب الجابري لا يتم تحقيقها إلا إذا حققنا شرط الانتظام في التراث؛ وهذا لأنه ليس بإمكان أي شخص مهما كان أن يتنكر لماضيه، وبناء على ما سبق فإن النهضة لا يمكن أن تتحقق إلا إذا تمكنا من استلهام الماضي؛ وذلك لأنها تقوم على عنصر الانتماء بحيث من غير الممكن أن تكون بلا جذور تثّبتها على مستوى أرض الماضي، وهذا هو شرط قيام النهضة العربية. وفي هذا الصدد يقول الجابري: "إنه ليس هناك قانون عام واحد يعبر عن ميكانيزمات النهضة في كل العصور والأوطان. ولكن مع ذلك يمكن للمرء أن يلاحظ بسهولة أن جميع النهضات التي نعرف تفاصيل عنها قد عبرت أيديولوجيا عن بداية انطلاقها بالدعوة إلى الانتظام في التراث، وبالضبط إلى العودة إلى الأصول"(الجابري محمد عابد، 1989: 21). يجب الإشارة إلى أن مقصود الجابري ليس الذوبان في الماضي بالمعنى التقليدي الذي عهدناه؛ وإنما مقصده العودة الواعية واليقظة التي تساهم في فهمه مما يساعد في الكشف عن آلياته المعرفية بقصد الاستفادة منها ضمن ما نسعى إلى تحقيقه وهو مشروعنا النهضوي الذي نحن بحاجة ماسة إلى تشييده وهو أمر لا يتحقق حسب الجابري إلا من خلال داخل هذه الحضارة الإسلامية، كما أن البحث في كتابات الجابري المتعلقة بموضوع التراث يوصلنا إلى نتيجة مفادها أنه يهدف للانتظام في التراث لكن ليس بغرض الغرق فيه، بل يدعونا إلى تحقيق ما يعرف بالعودة اليقظة

قصد المساهمة في الكشف عن آلياته المعرفية والنظرية، والتي بالإمكان إعادة استثمارها من جديد على مستوى ما يعرف في نظر الجابري بالانتظام العقلاني النقدي على مستوى تراثنا، ووفقا لهذا فإن تجديد الفكر لا يتحقق إلا إذا كانت الانطلاقة من الداخل وهذا ما يدعونا إلى طرح التساؤل التالي : ما هو مقصد الجابري بالتعامل العقلاني النقدي على مستوى عملية فهم التراث؟

1 ـ التعامل العقلاني النقدي في فهم التراث : إن مقصد الجابري فيما يتعلق بالتعامل العقلاني النقدي في فهم التراث هو قراءة التراث قراءة ذات شكل تاريخي، أي بمعنى الابتعاد عن الطريقة الانتقائية التي غالبا ما تحتكم إلى محددات أيديولوجية، كما أن الجابري يشير إلى نقطة أساسية وهي أن تاريخنا العربي لم يمت بعد؛ وذلك لأننا لم نتمكن بعد من فهمه وعملية انتقادنا لهذا التراث لا تتحقق إلا بعد الدخول في حوار معه كما يجب الإشارة إلى أننا لم نميز بعد بين تاريخنا السابق واللاحق على مستوى الوعي، وهذا ما يؤكده قوله : " إن من الشروط الضرورية لنهضتنا تحديث فكرنا وتجديد أدوات تفكيرنا وصولا إلى تشييد ثقافة عربية معاصرة وأصيلة معا .....وعندما يتعلق الأمر بفكر شعبي أو أمة فإن عملية التجديد لا يمكن أن تتم إلا بالحفر داخل ثقافة هذه الأمة، إلا بالتعامل العقلاني النقدي مع ماضيها وحاضرها"(الجابري محمد عابد، 1991 : 33). ومن خلال هذا القول نصل إلى فكرة أساسية وهي أن القراءة التي يسعى الجابري إلى تحقيقها فيما يتعلق بالمسألة التراثية تختلف عن القراءة التي قدمتها السلفية الدينية، والسلفيات الأخرى والتي تقوم على الفهم التراثي للتراث، والتي تنتج في الأخير قراءة واحدة للتراث وهي بهذا تطرح حسب وجهة نظر الجابري ما يسمى بالعائق أمام انتظامنا على المستوى التراثي، بالإضافة إلى أنها تجعلنا نعيش ما يسمى بالازدواجية التي كثيرا ما تعيق الأمة من بلوغ ما يعرف بالنهضة، وهذا هو الأمر الذي دفع الجابري إلى محاربة هذه الأفكار التراثية الغريبة واستطاع تحقيق هذا المطلب من خلال الاشتغال على ما يعرف بعنصر النقد قصد التخلص من ذلك بحيث يقول : "القراءة لا تاريخية، وبالتالي فهي لا يمكن أن تنتج سوى نوع واحد من الفهم للتراث هو :الفهم التراثي للتراث. التراث يحتويها وهي لا تستطيع أن تحتويه لأن التراث يكرر نفسه " (الجابري محمد عابد، 1993 :

13). كما أن الجابري يضيف التركيز على نقطة أخرى والتي تتمثل في أنه يجب قراءة تراثنا ضمن تاريخيه، وهذا حسب وجهة رأيه ينطبق أيضا على تراث غيرنا، إلا أنه يجب الإشارة إلى أنه لكل تراث مبررات وشروط موضوعية تحكم قيامه. ووفقا لهذا فإنه بدون التعامل النقدي مع التراث لن نستطيع ممارسة العقلانية بمعناها الواسع على مستوى الفكر المعاصر.

أ - العامل النهضوي وعلاقته بالتراث عند الجابري: لقد أشار الجابري لفكرة أساسية مفادها أنه يجب ربط العامل النهضوي مع التراث ويقصد بذلك الارتباط مع الأصول ومن جملة الأمثلة التي أستخدمها معطيات الحضارة العربية الإسلامية الأولى؛ بحيث يرى بأن هذه العملية تتوقف على ما يعرف بالعودة الواعية إلى الأوائل بقصد تأسيس ما يعرف بالفكر الأصيل و المعاصر والذي يتطلع لمواكبة العصر كما أنه في نفس الوقت يحافظ على خصوصيته و يقول: " أخذت آلية العودة إلى الأوائل بداية لها ومنطلقا ...في صورة أحياء الآداب الرومانية والإغريقية وما أعقب ذلك من قيام النزعة الإنسانية... كانت النتيجة أن تفككت بنية نظام القرون الوسطى الذي كان بناؤه وحدة عضوية متكاملة فانفتح الباب أمام انبثاق فكر جديد فلسفة و علوما" (سحبون علي رحمومة، 2007: 150). ودعوة الجاري المتمثلة في العودة إلى الأوائل بغية تحقيق الانتظام النقدي في التراث ترجع إلى أنه يرى بأنها قد تمت في الماضي. وبهذا تكون مسألة العودة إلى الأوائل و الانتظام الواعي في التراث لمسألة أساسية تتعلق بالفكر وذلك قصد مواكبة متطلبات العصر التي تسعى إلى إحياء الماضي بالاعتماد على الحاضر وهو بهذا ليس ممن رفضوا التراث وإنما أكد على العودة الواعية له.

3 . مستويات القراءة وخطوات المنهج : يرى الجابري بأن التعامل مع التراث ينبغي أن يكون تعاملا علميا وهو يشمل مستويين أساسيين هما : الأول مستوى الفهم، أما الثاني فهو مستوى التوظيف أو الاستثمار. فيما يتعلق بالمستوى الأول فإن الجابري يرى بأنه من الضروري أن نستوعب تراثا بمختلف اتجاهاته وبهذا نكون قد تمكنا من فهمه "هكذا يدعوا الجابري إلى أن التعامل مع التراث بكل مستوياته كمادة للعبرة و كوثيقة في دراسة التاريخ الفكري والحضاري. أما المستوى الثاني و هو الأهم و هو الاستثمار والتوظيف أي إحياؤه والاستفادة من

الخبرات " (سحبون علي رحمومة، 2007 : 154). أما فيما يتعلق بالمستوى الثاني وهو المهم بالنسبة للجابري، وذلك لكونه يسعى من خلاله إلى استثمار ما يمكن إحياؤه من خبرات ممن سبقونا أي السلف بتعبير الجابري بحيث يتوقف على مدى قدرتنا من الاستفادة النقدية مثل: عقلانية ابن رشد وغيرها من الأفكار الضرورية على مستوى فكرنا الإسلامي، وذلك إن أردنا ترتيب علاقتنا بتراثنا وبالصورة التي تسمح لنا بالانتظام فيه قصد فتح المجال للإبداع. انطلاقا مما سبق يتضح أن الجابري يسعى إلى أن تكون نقطة انطلاقه ترتكز على كل ما هو عقلاني في ثقافتنا العربية، وذلك بقصد إحداث التغيير انطلاقا من داخل تراثنا، وبهذا فإن الحداثة بالنسبة للجابري تتعلق بالمنهج أو لا وقبل كل شيء لتليها حداثة الرؤية التي تتبع المنهج بحيث يقول: " لذلك كانت الحداثة بهذا الاعتبار تعني أولا وقبل كل شيء حداثة المنهج وحداثة الرؤية، والهدف تحرير تصورنا للتراث من البطانة الإيديولوجية والوجدانية التي تضفي عليه، داخل وعينا، طابع العام والمطلق وتنزع عنه طابع النسبية والتاريخية" (الجابري محمد عابد، 1991 : 16). وبهذا فإننا إذا لم ننجح في تأسيس حداثة خاصة فذلك راجع إلى أننا لم نمارس العقلانية على مستوى تراثنا، ولم نكن فاعلين بل كنا مجرد منفعلين، وبناء على هذا فإن مسؤولية التغيير والتجديد من المطالب الأساسية لنتمكن من بناء فكر عربي معاصر يواكب تطورات العصر ومجرياته، وبهذا نتجاوز الفكر الذي لم يعد صالح لمواكبة التطورات المتلاحقة .

أ -القطيعة الإبستيمولوجية عند الجابري:

لقد تبنى الجابري فيما يتعلق بقراءته التجديدية للتراث منهجا يقوم على ضرورة إحداث ما يعرف (بالقطيعة الإبستيمولوجية) وذلك على مستوى نقطة أساسية من الفكر العربي، والتي تقوم على ما يعرف بقياس الغائب على الشاهد دون الأخذ بعين الاعتبار ما يعرف بشروط هذا المنهج من الفكر الغربي إذا فما الذي يقصده الجابري بالقطيعة الإبستيمولوجية؟ وكيف تم توظيفها على مستوى الفكر العربي والتراث بالأساس؟ لقد جعل الجابري القطيعة تكون بالشكل التالي: "الفعل العقلي نشاط يتم بطريقة ما و بواسطة أدوات هي المفاهيم، داخل عقل معرفي معين" (سحبون علي رحمومة، 2007 : 156). ويعتبر الجابري العقل

المعرفي الذي تتم داخله هذه العملية مختلف و متغير، إذا ما بلغ هذا الاختلاف نقطة نهائية لا يمكن الرجوع عنها فهنا نكون قد حققنا قطعية ابستيمولوجية، والتي مفادها التخلي عن الفهم التراثي و ليس التراث كلية. وذلك يربطه بماضينا الذي جسد مفهوم القطعية من خلال مشروعين فكريين هما ابن سينا الذي مشروعه ذو طابع لاعقلاني وابن رشد الذي يتميز مشروعه بالعقلانية و هناك نوع من الانفصال بين المشروعين رغم أنه هناك اتصال ظاهري بينهما و النتيجة التي نخلص إليها من كل هذا هو أن القطعية التي يدعوا الجابري إليها تتناول المفاهيم والمنهج والإشكاليات. والقصد منها ليس القطيعة على مستوى الموضوع بل على مستوى الفهم أي طريقة التفكير بالموضوع . يقول صايم عبد الحكيم :" المنهج حسب رأيه مهما كان هو أداة والأداة لا تبرز فعاليتها إلا عند استعمالها ... وانطلاقا من هذا الفهم البراغماتي للمسألة الإبستيمولوجية، علل من أجل تحريرنا من السؤال : ماذا نأخذ ؟ وماذا نترك ؟ و أشار إلى ضرورة إعادة ترتيب علاقتنا التاريخية بالفلسفة والعلم" (صايم عبد الحكيم، 2011 : 154). وهو بهذا يؤكد على أن المفكر ليس من الضروري أن يخرج عن الفكر الذي يفكر فيه غيره حتى نقول بأنه أحدث قطيعة بل إن القطيعة تحدث داخل نفس الفكر. وبهذا فان القطيعة بعيدة كل البعد عن معنى حذف كل شيء واستبداله بشيء جديد فمن غير الممكن أن ننطلق من الصفر والجدة تكمن في الطرح الجديد للقضايا التي نوقشت من قبل. بحيث يرى الجابري بأن: " الانخراط الواعي الذي يمكننا من إحداث واستيعاب مفهوم القطيعة الإبستيمولوجية بين المحتوى المعرفي والمضمون الإيديولوجي للتراث ... يخضع الأول المحتوى المعرفي للظروف الاجتماعية والمعرفية فيحيا معها ويندثر باندثارها فان الثاني المضمون الأيديولوجي يحمل جانبا متغيرا ونسبيا مثل المحتوى المعرفي وجانبا خالدا " (الكبسي محمد علي، 2007 : 170). الجابري من خلال هذا القول يؤكد على أن انخراطنا الواعي هو من له القدرة على فهم واستيعاب مفهوم القطعية الإبستيمولوجية ويتحقق هذا من خلال اللحظتين السابقتين اللتين تنتهيان بلحظة ثالثة تمكننا من العودة إلى اللحظة الأولى، وهي اللحظة التاريخية كونها تمثل الانقطاع الذي يجب وصله، ومن خلال هذا فقط سوف نتمكن حسب الجابري من استيعاب النموذج البديل

والإمساك بخيوطه المتداخلة. وبهذا نجد الجابري يركز على مهمة أساسية وهي ما مثله ضمن ما يعرف بنقد العقل العربي، والذي يهدف من خلاله إلى إزاحة القراءات السابقة للتراث الفكري وذلك بإبراز مدى الضحالة المنهجية التي خالفتها هذه القراءات، بالإضافة إلى افتقارها إلى الموضوعية بالنسبة للجابري "ولذلك فقد اعتبر، أن مشروعه الفكري هذا يهدف إلى نقد العقل من زاويتين : فمن جهة يمكن النظر إلى العقل العربي بوصفه عقلا سائدا قوامه جملة مبادئ وقواعد ... يعني أنه بالإمكان إنشاء وصياغة مبادئ وقواعد جديدة تحل محل القديمة وبالتالي قيام عقل سائد جديد" (الشياب محمد خالد، 2007 : 140). وهو بهذا يؤكد بأنه بالإمكان التطوير والتعديل بمعنى التجديد وهذا بالتأكيد لن يتم إلا إذا أقمنا العقل السائد ولا تتم هذه العملية إلا من خلال العقل نفسه، ومن خلال أسسه. وذلك بتحريكها وإغنائها بمفاهيم جديدة، وعلى هذا الأساس فإن العقلانية هي من تمتلك الصدارة إما على مستوى الفكر العربي وإما على مستوى مشروع الجابري الفكري، وبالأخص ما ذهب الجابري إلى تأكيده وهو أن غياب نقد العقل على مستوى الخطاب العربي يعد نقطة ضيق لها خطورة على المشروع النهضوي العربي، وبهذا فإن أي محاولة للنهوض بالفكر العربي لا بد وأن تنطلق من لحظة انبثاق التفكير العقلي، والذي كانت بدايته في عصر التدوين حسب الجابري، لذا يرى الجابري بأن المسألة الأساسية التي يجب التركيز عليها هي كيف نتعامل مع التراث في طلبته تعاملا نقديا يعيد له انسجامه؟ الجابري يرى بأن العقلانية النقدية قد تم تدشينها مع كل من ابن حزم وابن رشد وابن خلدون، وبناءا على هذا فإنه بالإمكان إعادة بناء العقل العربي ويتم ذلك من خلال داخل الثقافة التي هو ينتمي إليها وهذا ما سوف يمكننا من تدشين عصر تدوين جديد على مستوى هذه الثقافة حسب الجابري. بحيث يقول: " العقلانية النقدية كمنطلق يربطنا بقضايا تراثنا من أجل تمجيدها أو الاغتراب فيها أورفضها، بل من أجل نقلها إلى حاضرنا والتعامل معها على أسا متطلبات الحاضر وحاجة المستقبل بالاستناد إلى فكر العصر ومنطقه" (الجابري محمد عابد، 1986: 572).

ب - فصل التراث ...ومشكلة الموضوعية: من بيت الخطوات التي تلي خطوة القطيعة مع الفهم التراثي للتراث خطوة الفصل ونقصد بها فصل الذات عن الموضوع، وذلك قصد تحرير الذات عن سلطة وهيمنة النص التراثي عليها، وهذا الأمر يمكن أن يتحقق إذا طبقنا المنهج الثلاثي الذي نادى به الجابري وهو كالتالي:

1 ـ المعالجة البنيوية : مقصود الجابري من هذه النقطة هو دراسة التراث كما هي معطا لنا، ويتم هذا بعيدا عن كل أنواع الفهم السابق للتراث، ونتعامل مع التراث باعتباره كل يحتكم لمجموعة من الثوابت والتي تقترن بالتغيرات بحيث يرى الجابري بأنه من الضروري" محورة فكرة صاحب النص حول إشكالية واضحة على استيعاب جميع التحولات التي يتحرك بها ومن خلالها النص، بحيث تجد كل فكرة من أفكاره مكانها الطبيعي الرأي المبرر أو القابل للتبرير، داخل الكل، إذن القاعدة الذهبية في هذه الخطوة الأولى هي بتجنب قراءة المعنى قبل قراءة الألفاظ" (سحبون علي رحمومة، 2007 : 166). وبهذه الطريقة فقط حسب الجابري سوف نتمكن من التحرر من الفهم المسبق الذي طالما أسسته المسبقات التراثية التي من خلالها سوف نقوم بوضعها جميعا بين قوسين، ونتصرف لاستخلاص معنى النص الذي هو مجال الدراسة وبالاعتماد على النص نفسه وفقها. وبهذا فإنه حسب الجابري لا بد من المعالجة البنيوية كخطوة أولية لتفكيك وفهم النصوص التراثية.

2 ـ **التحليل التاريخي:** تلي هذه المرحلة المرحلة السابقة الذكر وهي مرحلة المعالجة البنيوية، بحيث تتمثل في أنها تسعى إلى ربط فكرة صاحب النص التي قمنا بإعادة تنظيمها خلال المعالجة البنيوية بالمجال التاريخي وعلى مستوى كل أبعاده السياسية والاجتماعية... الخ، ويذهب الجابري" إلى أن التحليل التاريخي هو مخبرنا الذي نقيس النتائج، ورجوعنا إلى التاريخ هنا يختلف عن رجوع المؤرخ يبدأ التاريخ من البداية، ولا يهمه إلا التسلسل ... أما نحن، فنرجع إلى التاريخ في كليته، السابق واللاحق " (سحبون علي رحمومة، 2007: 167). والجابري ما يهمه من هذا العنصر هو إيجاد الشواهد التي تكشف عن القوانين التي تم استخدامها، والتي يقوم التحليل التاريخي بتأكيدها فما قد تم

استخدامه من جراء التحليل البنيوي هو الآخر له شواهد تاريخية تدعمها مما يؤكد صحتها.

3 ـ الطرح الأيديولوجي : من خلال هذا الطرح حسب الجابري فإنه سوف يتمكن من الكشف عن الوظيفة الأيديولوجية بجانبيها السياسي والاجتماعي التي قام الفكر بتأديتها ضمن الحقل المعرفي وهذا بغية الكشف عن المضمون الأيديولوجي فيما يتعلق بالنص التراثي، والذي يعد بمثابة الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من جعله معاصرا لنفسه، وبهذا نكون قد تمكنا من إعادة التاريخية لهذا النص من خلال هذا الأمر حسب رأي الجابري الذي يقول: " ليس من الضروري أن أبدا بالتحديد بهذا أو بذلك، فأنا أحيانا أبدأ بالمعالجة البنيوية وأحيانا بالتحليل التاريخي، حسب الموضوع، والمناهج بالنسبة فهي كلها صالحة، لكن كل فيما يمكن أن يصلح له" (الجابري محمد عابد، 1991 : 332). وهو يقصد من هذا أن المستويات التي اقترحها لقراءة أو معالجة التراث لم ترتكز على ما يعرف بأولوية أحدها عن الآخر، بحيث هذا الأمر يتحكم فيه الموضوع من حيث الطبيعة فهناك من تستدعي طبيعته أن تبدأ بالتحليل التاريخي وهناك من تستدعي طبيعته أن تبدأ بالمعالجة البنيوية.

ج ـ وصل التراث ...ومشكل الاستمرارية : بعد اللحظة التي قلنا هي لحظة الانفصال هناك لحظة ثانية هي لحظة الاتصال مع التراث الذي قمنا بفصله عنا لنعيده من جديد إلينا، ولكن بصورة تغاير اللحظة الأولى قبل الفصل وهنا يتحقق مدلول جعله معاصرا لنا، وذلك على صعيد الفهم والمعقولية، وأيضا على مستوى التوظيف الأيديولوجي وبالأخص إن ركزنا على الجانب النقدي والعقلاني، وهذا ما قد عبر عنه الجابري بأنه تجديد من الداخل بحيث يقول : " جعل المقروء معاصرا لنفسه ومعناه فصله عنا، وجعله معاصرا لنا ومعناه وصله بنا... قراءتنا تعتمد إذن الفصل والوصل كخطوتين منهجيتين رئيسيتين" (الجابري محمد عابد، 1993 : 12). وبهذا فإن القراءة التي اقترحها الجابري قراءة تاريخية تسعى إلى ما يعرف بإحداث القطيعة مع الفهم التراثي للتراث، وذلك من خلال تحرير فهم التراث من الأيديولوجيات التي جعلت فهمنا غير واضح، من خلاله تتم الرؤية والحجب، ولنتمكن من تجاوز هذه الضبابية علينا زحزحة هذه الأغطية

التي قد تمت إضافتها إلى التراث لتليها مرحلة الوصل، والتي يليها اتصال القارئ بالمقروء أي النص، بحيث أن الذات تسعى إلى معاينة الموضوع من خلال ملامسة إشكالاته، وبهذا فإن القراءة الجابرية " قراءة تاريخية تدعوا إلى ضرورة القطيعة مع الفهم التراثي للتراث أي التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهم التراث وليس مع التراث في حد ذاته. أما اللحظة الثانية ويسميها وصل القارئ بالمقروء ... فتتم عن طريقة الحدس الذي يجعل الذات القارئة تعانق الذات المقروءة" (أعراب إبراهيم، 2007 : 291). والجابري لا يقصد بالحدس ما عهدناه عند الصوفية الفينومولوجية وغيرها من الاتجاهات الأخرى؛ بل هو حدس خاص وهو أقرب إلى الحدس الرياضي، ويتم من خلال المعطيات الموضوعية التي استخلصت خلال اللحظة الأولى من المنهج .لقد سعى الجابري إلى توضيح أن الفكر الغربي يكون صورة خاصة عن تراثه، بحيث أن وعي الإنسان الغربي فيما يتعلق بالمسألة التراثية متصل بحاضره وبمستقبله، وهذا ما نجد عكسه تماما عند الإنسان والمثقف العربي على حدّ السواء، والذي يشعر بأن التراث الإسلامي بعيد كل البعد عن الواقع المعاش وما يستدعيه من متطلبات، ولهذا السبب يسعى الجابري في محاولته لإعادة بناء الفكر العربي إلى إضفاء مفهوم المعقولية على الجانب التراثي، وذلك قصد ترتيب العلاقة بين أجزائه وجعلها من بين اهتماماتنا الحالية والمستقبلية مما يساهم في التأسيس لعنصر النقد على مستوى ثقافتنا قصد مواكبة الحس الإبداعي والإنتاج الفلسفي .ولم يكتفي الجابري بهذا الأمر فقط بل تطرق أيضا إلى العقل الأخلاقي العربي الذي اعتبره " دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية الإسلامية، وفي نفس الوقت تأريخا للفكر الأخلاقي العربي " (الجابري محمد عابد، 2001 : 57). وأشار إلى أن تكوين العقل الأخلاقي العربي متعدد المصادر؛ بحيث أنه يشمل الموروث الإسلامي الخالص، والفارسي، والصوفي، والعربي، واليوناني.

4- نماذج من قراءة الجابري للتراث (الفلسفة الإسلامية):

لقد قدم الجابري خطوات قراءته للتراث، والتي تعلقت بمقارنته بين فلسفتين إحداهما مشرقية والأخرى مغربية والتي تناولها من خلال كتابه "نحن والتراث" وهذا ما سوف نتطرق إليه من خلال هذه الدراسة :

أ - الفلسفة المشرقية : لقد عالجت الفلسفة المشرقية حسب الجابري إشكالية التوفيق بين الفلسفة والدين، أما فيما يتعلق بالجانب المعرفي فلا يمكن أن نلمس سوى جملة من الآراء والأقاويل المكررة والواقع المعاش هو من كان الدافع للقيام بهذا الأمر، والجدة حسب الجابري لا يمكن أن نلمسها إلا على مستوى المضمون الأيديولوجي. وقد قمنا باختيار جملة من النماذج قصد الدراسة التي كان مرجعنا في ذلك كتاب الجابري"نحن والتراث" ومن بين هذه النماذج التي تطرق لها صاحب الكتاب :ابن سينا، الفارابي، ابن باجة، ابن رشد، ابن خلدون .بحيث يقول: " لقد عالج الفلاسفة الإسلاميون إشكالية نظرية واحدة هي ما يعبر عنه عادة بالتوفيق بين العقل والنقل هذا التوفيق الذي انطلق مع المعتزلة من شعار العقل قبل ورود السمع وأصبح مع المدرسة الفلسفية في المشرق، التي بلغت أوجها مع ابن سينا، محاولة متواصلة لدمج بنية الفكر العلمي (اليونانية) في بنية الفكرة الدينية الإسلامية باعتبار أن الأولى تمثل الرؤية العقلية العملية للكون والإنسان، والثانية تمثل الحقيقة المطلقة وأيضا الهوية الحضارية" (الجابري محمد عابد، 1993 : 31). والأمر الذي يمكن الخروج به من هذا القول هو أن الجابري يؤكد على أن الفلسفة الإسلامية لم تكن قراءة متجددة لتاريخها بل مجرد قراءة لفلسفات أخرى هي الفلسفة اليونانية، والتي وفقا لها تم توظيف الأهداف الأيديولوجية. وبالنظر إلى هذا فإنه من الضروري التمييز بين الجانب الأيديولوجي والمعرفي قصد معرفة الجديد على مستوى فلسفتنا الإسلامية، بحيث يقول هي : "قراءات وظفت نفس المادة المعرفية لأهداف أيديولوجية مختلفة متباينة" (الجابري محمد عابد، 1993: 31). كما يجب الإشارة إلى أن الجابري لا ينكر ما قد تم تحقيقه من منجزات على مستوى الميدان العلمي ويتضح هذا من خلال ما حققته الرياضيات وعلم الفلك، والطب ولكن رغم هذا إلا أنّها لم تغير من الرؤية الفلسفية السائدة؛ بمعنى لم تقدم تصورات جديدة بل كانت تركز على مسألة التّوفيق بين الدين والفلسفة.

والبداية كانت مع الكندي الذي كان من الأوائل الذين قد دشنوا حركة الترجمة التي تتعلق بالفلسفة؛ بحيث أن البدايات الأولى لها جعلتها تتزيا بلبوس الخطاب الأيديولوجي وهذا ما يؤكده قوله التالي :" كان الكندي، أول فيلسوف في الإسلام، منخرطا بشكل مباشر في الصراع الأيديولوجي الذي كان محتدما في عصره بين المعتزلة، أيديولوجيي الدولة آن ذاك من جهة، وبين أهل الغنوص وأهل السنة من جهة أخرى" (الجابري محمد عابد، 1993 : 37). فالكندي حسب وجهة نظر الجابري وظف المادة المعرفية المنقولة من الفلسفة اليونانية خدمة لهذا الصراع الأيديولوجي الذي خاضه كونه مفكر ضد الاتجاهات الأخرى التي تتميز بمحدودية الرؤيا والانغلاق. ووفقا لما سبق فإن هذه الأفكار التي أوردها الجابري قد توصل إليها من خلال تطبيق خطوات القراءة على الكندي باعتباره إحدى النّماذج التي يزخر بها التراث؛ بحيث حدد الإشكالية العامة التي تندرج ضمنها إنتاجاته الفلسفية، وحتى توظيفه الأيديولوجي لها، وهو بهذا جعل المقروء معاصرا لنفسه. أما من ناحية كونه معاصرا لنا فكان ذلك على مستوى الفهم العقلاني للموضوع وذلك من خلال الاعتماد على عنصر الموضوعية في الطرح. أما النموذج الثاني فكان الفارابي الذي كان يسعى إلى توحيد المجتمع من خلال ما يعرف بوحدة الفكر وهذا الأمر كان مطلبا أيديولوجيا؛ كون أنّ الواقع المتأزّم هو من فرض على الفارابي الدعوة إلى فكرة الكونية وهذا في حقيقة الأمر بعد إدراكه لحقيقة فشل الخطاب الاعتزالي فيما تعلق بمسألة التوفيق بين الفلسفة والدين بحيث يقول الجابري: " صورة جديدة تقدم لنا الفارابي، لا منعزلا ولا منقطعا عن الدنيا ...بل منشغلا بمشاكل مجتمعه المثقل بهموم معاصريه غير يائس ولا متألّم ولا متضجّر. لقد كان الفارابي متفائلا يؤمن بالتقدم وبقدرة العقل على حل جميع المشاكل فعاش المدينة الفاضلة، مدينة العقل" (الجابري محمد عابد، 1993، 38). من خلال ما سبق نستنتج أن القراءة التي قد كان الجابري يسعى لتحقيقها تختلف عن غيرها من القراءات الأخرى فالفارابي كنا نعرفه بأنّه ذلك الفيلسوف البعيد عن أرض الواقع والمنشغل بمدينته الفاضلة، وقد ساهمت قراءة الجابري في تزويدنا بهذه الصورة بناءا على الخطوات التي اعتمدها الجابري ضمن قراءته

التي تنطلق من الكل وهو ما تمثله إشكالية الفلسفة والدين، أما فيما يتعلق بالمعطى الأيديولوجي فهو ما تمثله فكرة العقل الكوني التي كانت بمثابة الحل الوحيد للصراع القائم داخل المجتمع الذي عاش ضمنه الفارابي، ووفقا لهذا فإنّ الجابري قد استطاع من جعل المقروء معاصرا لنفسه، ومعاصرا لنا من جهة الفهم وهو ما تبرره الصورة الجديدة التي انطلاقا منها فهمنا لمشروع الفارابي. ليليها بعد ذلك النّموذج الثالث وهو ابن سينا الذي بنا فلسفة على أساس نظرية الفيض والتي كانت بمثابة وسيلة من أجل الوصول إلى عالمه الخاص والذي مثّلته الغنوصية، وهذه الاختيار هو من جعل الجسم يبقى على مستوى الواقع أما الروح فتنتقل إلى هذا العالم المفارق للواقع، وهذا هو الوجه الجديد الذي تكشفه لنا قراءة الجابري لفلسفة لابن سينا بحيث يقول: " لقد كان من الضّروري إبراز ذلك الوجه الظلامي الغنوصي في ابن سينا حتى نتمكن من تصحيح صورته في وعينا ونتعود على قراءة تاريخنا على ضوء معطياته الفعلية،... لقد كرس ابن سينا بفلسفته المشرقية اتجاها روحانيا غنوصيا كان له أبعد الأثر في ردّة الفكر العربي الإسلامي وارتداده من عقلانيته المنفتحة" (الجابري محمد عابد، 1993، 39). ووفقا لما قد سبق فإن ابن سينا لم يستطع هو الآخر التحرر من إشكالية التوفيق بين الفلسفة والدين، أما على المستوى الأيديولوجي فقد قدم من خلال هذه المنظومة الفيضية احل للصراعات التي عايشها وهو بمثابة الهروب من الواقع .

ب ـ الفلسفة في المغرب : أما فيما يتعلق بالفلسفة في المغرب، فقد اختار الجابري أيضا جملة من النماذج وأكّد على فكرة أساسية بعد قراءته لهذه الفلسفة وهي أنّها لم تواصل في نفس الإشكالية العامة التي كانت تصب فيها جل الفلسفة المشرقية؛ كونها أنّها استطاعت إحداث ما يعرف بالقطيعة مع الفلسفة المشرقية على مستوى الإشكالية، كما أنّه قد حاول الرجوع إلى أصول الفلسفة اليونانية بحيث أنّه يقول : " إن إعراض ابن باجة عن الفلسفة المشرقية السينوية وتجاوزه للعرض الذي قدمه الشيخ الرئيس في كتابه الشفاء ... ورجوعه إلى الأصول إلى مؤلفات أفلاطون وأرسطو ...كل ذلك كان بمثابة إعادة تأسيس للفلسفة في الفكر العربي والثقافة العربية ...لقد استعاد ابن باجة وعي الفارابي لكن بروح نقدية" (الجابري محمد عابد، 1993: 40). يتضح مما

سبق أن البداية التي انطلقت منها الفلسفة في المغرب كانت من خلال ممارسة القطيعة، وهذا من بين الأسس التي تقوم عليها القراءة الجابرية، كما أكّد على أنّ ابن باجة استعاد مدينة الفارابي ولكن بالاستناد على الروح النقدية قصد تجاوز المثالب التي وقع فيها الفارابي .أما على مستوى الإشكالية العامة التي كانت تأطّر فلسفة ابن باجة فهي تهتم بمعالجة العلاقة بين الفلسفة والعلم بناء على عقلانية واقعية؛ بحيث تمّ نقل الإشكالية العامة من حقل الدين والفلسفة إلى حقل الفلسفة والعلم وعلى هذا تم إعادة الفلسفة إلى ما كانت عليه قبل الفلسفة المشرقية مع أرسطو وغيره أي علاقتها بالعلم فنصوص ابن باجة وابن رشد تعود إلى أرسطو، وأفلاطون أي الأصل، كما أنها دعوة إلى فصل الدين عن الفلسفة وربطها بالعلم وذلك لأنه لوقرّنا الدين بالعلم فإنّ تفاسير العلم تخضع إلى مبدأ إعادة التصويب بظهور الدراسات الجديدة أمّا الدين فيحوي حقائق ثابتة ممّا يجعل لكل واحد منهما مجاله الخاص ومفاهيمه الخاصة .

5 ـ رؤية نقدية لقراءة الجابري لتراثنا الإسلامي:

لقد أثارت القراءة التي قدمها الجابري العديد من المشتغلين بالحقل الفلسفي بحيث يقول محمد علي الكبسي: " لقد اعتمد الجابري تأويل التراث ماضيا وحاضرا لاكتشاف ثوابته ومتغيراته كشفا يجعل من السهل محسور الحوار بين النص والناقد لا لقراءة ما يعلنه بل لقراءة ما لا يعلنه " (الكبسي محمد علي، 2007 : 152). وهذا يؤكد أن الجابري كان يحمل هم أمته التي تعاني من التشتت على عديد المستويات وهو ما قد دفعه إلى الاشتغال بمشروعه الفكري بحيث يقول على رحمومة سحبون: " من المعلوم أن الجابري انشغل مثل غيره من المفكرين العرب المعاصرين بهموم أمته التي ترزح تحت نير التبعية الفكرية والتجزئة السياسية، وهذا الانشغال دفعه لأن ينفعل بما يجري في الساحة العربية من طروحات فكرية تتصل بمشكلة النهضة" (سحبون علي رحمومة، 2007 : 86). كما أن القراءة التي قد قدمها الجابري تسعى إلى إقامة علاقة إيجابية مع ماضينا، وذلك من خلال الاستعانة بآلية النقد .وحسب وجهة نظر محمد يحي فإن الجابري قد استطاع على المستوى المنهجي أن يتمكن من دراسة تاريخ فكرنا العربي كموضوع مفصول عن بقية الاعتبارات التي لطالما

ربطها به العديد من المفكرين .كما أن هناك من يرى أن المشروع المقدم من قبل الجابري ليس كبقية البحوث التي عهدناها، وذلك كونه يعلن أن مجال التراث هو الذاكرة الجماعية، وبالتالي ليس بالإمكان الإنفراد به ونحن بحاجة إلى إعادة ترتيب علاقتنا مع ما قد خصنا من تراث لكي يتناسب مع اهتماماتنا الفكرية .يقول أحمد البرقاوي: " إن بحث الجابري في القارة التراثية لا يندرج ضمن البحث التراثي التقليدي، إنه يشتغل في الجبهة التراثية ليعلن أولا أن المجال التراثي ذاكرة جماعية ...ومن حق الجميع أن يرتبوا نوعية علاقتهم بمنتوجها .... بالشكل الذي يناسب اهتماماتهم واختياراتهم الفكرية العامة، ويتناسب في الوقت نفسه طموحهم التاريخي " (البرقاوي أحمد، 2004 : 24). بالإضافة إلى أن العقلانية النقدية لها منحى خاص كونها تختلف عن بقية الاختيارات النقدية، ويتأسس هذا الاختلاف في نظرنا بالعودة إلى الرهانات التي تمنح لوظيفة الفكر من جهة ولدور المتغير السياسي فيما يتعلق بعملية تحول المجتمع .وبهذا فإن هاجس الجابري كغيره من المفكرين العرب هو الوصول إلى إعادة تقييم لقراءة التاريخ والتراث، وهذا الأمر يعد بمثابة شكل من أشكال البحث عن تجديد الفكر، وهي أيضا إشارة إلى أن العقل العربي الإسلامي ما يزال يبحث عن الطرق التي من خلالها يمكن تعقل تاريخه.

هذا فيما يخص ردود الفعل الإيجابية التي أثارتها قراءة الجابري .أما فيما يتعلق بردود الأفعال الناقدة للقراءة الجابرية للتراث فإن الثورات العلمية ومستلزماتها الأخلاقية والأدبية والدينية كلها تدفعنا إلى إعادة صياغة الأسئلة الفلسفية واستشكالات الفكر الإستراتيجية من أجل إعادة بناء الإنسان مما يسمح له بالانفتاح، والجابري من خلال قراءته التي قدمها للتراث أفرزت ردود أفعال ناقدة من جملتها وأنه على الرغم من النجاح الذي حققته قراءة الجابري إلا فإن القراءة التي قدمها أصبحت محدودة في ظل التغيرات الراهنة، وليس بإمكانها القدرة على المحافظة على الذات ورفع جميع التوترات عنها .ورغم استخدامه لفكرة التحليل الابستيمولوجي فهو حسب الدارسين لهذا المجال لم يتمكن من التخلص من الحس الأيديولوجي الذي منعه من ممارسة النقد الحيادي فمثلا في نظره نقد التراث ليس فقط بفرض فهم موضوعاته بل بغرض

توظيفه من جديد في إعادة بناء ما يعرف بذواتنا (القومية الوطنية). وهذا ما يؤكده القول التالي: "إن نظرة الجابري إلى التراث لم تكن محايدة مجردة من أي هاجس إيديولوجي، حتى عندما قرر الالتزام بالتحليل الإبستيمولوجي وقال في حواراته إننا لا نمارس نقدا حياديا بل نمارس نوعا من النقد الذاتي بمعنى إننا ندرس التراث من أجل أن توظفه في إعادة بناء ذاتنا الوطنية القومية" (يحي محمد، 1997 : 465). إضافة إلى أن طه عبد الرحمن يرى بأن الآليات التي استخدمها الجابري من أجل بناء نسق متماسك فيما يتعلق بقراءته هذه لا تشكل نسق متماسك من جهة، ولأنها تتعارض مع المبادئ التراثية من جهة أخرى وهذا ما يؤكده قوله التالي: "الآليات التي استخدمها الجابري في تقويم التراث تنبني على مبادئ ثلاثة تعارض المبادئ التراثية الأصلية، وهذه المبادئ المعارضة هي مبدأ الموضوعية، ومبدأ العلمانية، ومبدأ النظر المتوحد، كما اتضح أن الجابري لم يباشر قط نقد هذه المبادئ المنقولة .... حق للقارئ أن يتحفظ في النتائج التي توصل إليها وسائله، إن لم يذهب به هذا التحفظ إلى حد التشكيك في قيمتها الإجرائية" (طه عبد الرحمن، دس : 49). وطه عبد الرحمن يرى بأن الجابري لم يقم بنقد الآليات التي قد استخدمها في دراسته، وهذا يرجع إلى عدم تمكنه منها ومادام لم يتمكن منها فإنه حتما يسيء استعمالها .وهو بهذا يبين لنا بأن قراءة الجابري لا تعني الانغلاق على بقية الدراسات بل فتح المجال أمام تعدد القراءات لإثراء الرصيد التراثي، وذلك بعودة العقل إلى تسيير حياتنا ولتحقيق هذه العودة الفعلية يجب توفر المناخ الحقيقي الذي يضمن الحريات وضرورة العودة إلى الأصول .

قائمة المراجع:

أ ـ بالعربية :

1- إبراهيم أعراب،(2007) ، سؤال الإصلاح والهوية من السياق السلفي إلى مشروع الحداثة، ط1، المغرب، أفريقيا الشرق.
2- ابن منظور، (دس)، لسان العرب المحيط، ط1، لبنان، دار الصادر.

3- البرقاوي أحمد،(2004) ، التراث والنهضة قراءة في أعمال محمد عابد الجابري،ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية .
4- الجابري محمد عابد،(1991) ، التراث والحداثة (دراسات ومناقشات)، ط1، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.
5- الجابري محمد عابد،(2001) ، العقل الأخلاقي العربي(دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية)، ط1، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.
6- الجابري محمد عابد،(1993)، نحن والتراث (قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي)، ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
7- الكبسي محمد علي،(2007) ، قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر، ط2، دار الفرقد، سورية.
8- الشياب محمد خالد،(2007) ، رؤى فلسفية في الفكر العربي المعاصر، ط1، دار يافا، الأردن.
9- طه عبد الرحمن،(دس)، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت.
10- دريه جوليا،(1992) ، قاموس الفلسفة، ط1، دار لاروس، باريس .
11- لالاند أندريه،(2001) ، موسوعة لالاند الفلسفية، ط2، دار عويدات، باريس.
12- سحبون علي رحمومة،(2007) ، إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر بين محمد عابد الجابري وحسن حنفي نموذجا دراسة تحليلية مقارنة، دط، منشأة المعارف، مصر.
13- يحيى محمد،(1997) ، نقد العقل العربي في الميزان دراسة معرفية تعنى بنقد مطارحات مشروع نقد العقل العربي للمفكر المغربي محمد عابد الجابري، د. ط، مؤسسة الانتشار، لبنان.

ب ـ بالفرنسية:

1- Larousse, (1980), dictionaries encyclopédique, France.